

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[453] بل أكثر من ذلك عبّر عن ذاته المقدّسة التي هي أفضل وأسمى ما في الوجود بالنّور (الأ نور السّماوات والأرض). (1) ومع أنّ كلّ هذه الأُمور تعود إلى تلك الحقيقة، لأنّها من الأ، ومن الإيمان به، فإنّها وردت بصيغة المفرد، وعلى عكس الطّلمات التي هي عامل التّشتمّ لذلك وردت بصيغة الجمع التي تبيّن الكثرة والتعدّد، وبما أنّ الإيمان بالأ والسير في طريقه باعث على الحركة وموجباً لليقظة، وعامل للإجتماع والوحدة، ووسيلة للتقدّم والكمال، فإنّ هذا التشبيه على كلّ حال أكثر محتوىً ودلالة تربوية. 2 - التعبير بـ"لخرج" في الآية الأولى تشير إلى نقطتين: الأولى: بما أنّ القرآن الكريم كتاب هداية ونجاة للبشر، لكنّه بحاجة إلى من يطبقه ويجريه، فيجب أن يكون هناك قائد كالرّسول لكي يستطيع أن يخرج الصّالّين عن الحقيقة من ظلمات الشقاء وهدايتهم إلى نور السعادة، ولهذا فالقرآن الكريم بعظمته لا يمكن له أن يحلّ جميع المشاكل بدون وجود القائد والمنفّذ لهذه الأحكام. الثانية: إنّ صيغة الإخراج في الواقع دليل على التّحرّك المشفوع بالتغيّر والتحوّل، وكأنّ غير المؤمنين موجودون في محيط مغلق ومظلم، والرّسول - أو القائد - يأخذ بأيديهم ويدخلهم إلى جوٍّ واسع ومنير. 3 - الملفت للنظر أنّ بداية هذه السورة شرعت بمسألة هداية الناس من الطّلمات إلى النّور، ونهايتها ختمت بمسألة إبلاغ وإنذار الناس، وهذه توضّح أنّ الهدف الأصلي في كلّ الأحوال هو الناس ومصيرهم وهدايتهم، فإنزال الكتب السّماوية وبعث الأنبياء في الواقع هو للوصول إلى هذا الهدف. * * *